ابن زهر الطبيب

د. العوادي سهام
طبيبة مقيمة بالمستشفى الجامعي سوس ماسة – أكادير
المشرف الأول: ذ. خالد موحادي
أستاذ مبرز في الطب النفسي بكلية الطب والصيدلة بأكادير
المشرف الثاني: ذ. فؤاد العبودي
أستاذ مبرز في الطب النفسي بكلية الطب والصيدلة بالرباط

كلية الطب والصيدلة - أكادير
IBNOU HOHTA A HOMOH - AGADIR
FACULTÉ DE MÉDECINE ET DE PHARMACIE D'AGADIR

سنة: 2023 أطروحة رقم: 01/ 2023

ابن زهر الطبيب

الأطروحة قدمت ونوقشت علانية يوم 2023/12/27
من طرف:
السيدة سهام العوادي
المزدادة بتاريخ 07 يوليوز 1998 بتارودانت
لنيل شهادة الدكتوراه في الطب

الكلمات الأساسية:
ابن زهر - الطب في الأندلس - كتاب التيسير

اللجنة:

السيد: عبد المجيد الشرايبي أستاذ التعليم العالي في علم الغدد والأمراض الاستقلابية	رئيسا
السيد: خالد موحادي أستاذ مبرز في الطب النفسي	مشرفا أولا
السيد: فؤاد العبودي أستاذ مبرز في الطب النفسي - الرباط	مشرفا ثانيا
السيد: إسماعيل رموز أستاذ التعليم العالي في الطب النفسي	حكما
السيدة: نوال عدالي أستاذة التعليم العالي في طب الأعصاب	حكما
السيد: كمال رفيق أستاذ مبرز في جراحة العظام والمفاصل	حكما

يعد عبد الملك بن أبي العلاء ابن زهر، ثالث أطباء أسرة أندلسية عريقة قدمت الكثير في سبيل النهوض بعلم الطب وتطوره في الأندلس، لينتقل إلى باقي بقاع العالم عن طريق الترجمة. وذلك عبر أجيال سبعة من الأطباء والطبيبات، والشخصية موضوع دراستنا هي أشهرهم وأكثرهم اهتماما بالتجارب السريرية والتدريس والتأليف الطبي.

بحثنا عبارة عن نافذة نطل من خلالها على تطور العلوم الطبية والأوضاع الصحية بالأندلس خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، عن طريق دراسة تراث ابن زهر الطبي الذي أخذنا على عاتقنا التنقيب عن مكامن إبداعه والإسهامات التي أضافها، وتفسيرها ومقارنتها بالسياق الذي أنتجت فيه، من خلال دراسة تحليلية للإرث الطبي الذي خلفه، معتمدين في ذلك على مخطوطاته ومؤلفاته، أهمها كتاب "التيسير في المداواة والتدبير".

دوافع البحث

1. دوافع ذاتية

الخصوصية الجغرافية: بدراسة سيرة أسلافنا، نرمي إلى تكريم مجهوداتهم، وابن زهر هنا مثال شأنه شأن ابن سينا، الرازي، ابن رشد، ابن طفيل وغيرهم. وكذا الخصوصية المحلية، حيث إن كلية الطب والصيدلة بأكادير التي تابعنا فيها مشوارنا الدراسي الجامعي فرع من فروع جامعة ابن زهر التي تحمل اسم الشخصية موضوع البحث.

هذا البحث محاولة منا لمد الجسور بين ماضينا، حاضرنا وتطلعاتنا للمستقبل، ذلك أن دراسة تاريخ الطب بالحضارة الأندلسية والمغرب، تستقي أهميتها مما تمد به الحاضر والمستقبل من عناصر الحياة والنماء.

2. دوافع موضوعية

إيماننا بأن الفهم الجيد لمستجدات المجال الطبي في العالم عموما، والمغرب على وجه الخصوص لا يتأتى إلا من خلال المعرفة المعمقة بتطور الأفكار وتقنيات التشخيص والعلاج بكل منهما.

هذه الأطروحة مساهمة لإثراء البحث العلمي في مجال تاريخ الطب بالمغرب.

قليلة هي الدراسات التي أنجزت بهذا الصدد، وقد كانت على فترات زمنية متفرقة، من أطروحات الدكتوراه، وكتب ومقالات علمية، وتحقيق كتب ابن زهر وترجمتها، وبهذا فإن جزءا كبيرا من أفكاره الطبية وكذا التداخلات الثقافية، السياسية والاجتماعية في حياته، قد ظل مبهما، وأطروحتنا محاولة لرفع بعض من هذا الغموض.

منهجية البحث

تطلب البحث في هذا الموضوع توظيف عدة مقاربات أهمها: علمية طبية، تاريخية، فلسفية، سياسية، وكذا اجتماعية. وبغرض الإجابة على التساؤلات التي طرحتها الدراسة، اخترنا المناهج العلمية الآتية:

المنهج الوصفي: يتجلى توظيفه في وصف الوقائع والظروف المميزة للمرحلة المدروسة، وكذا الأفكار التي اعتمدها الطبيب ابن زهر ووصف إسهاماته. تجنبنا السرد بغرض تكديس المعلومة، وسعينا إلى معرفة مكامن التجديد والابتكار التي جاء بها،

ومعالم تقليده لما كان متعارفا عليه، من أجل تمحيص أفكاره ووصلها بالواقع المعاش.

المنهج التفسيري: يهدف شرح أسس نظريات الطبيب ابن زهر، والمنهج الذي تبناه، بالرجوع إلى مميزات الفترة الزمنية التي أخرج فيها نظرياته إلى الوجود على شكل مؤلفات طبية غزيرة، وكذا النظريات السابقة التي استمد منها أفكاره وإسهاماته. فشرحنا بعضا من الأفكار الأصيلة التي جاء بها، وضربنا أمثلة تبسط استيعابها، خصوصا وأن اللغة الطبية لم تكن لتساعده آنذاك لافتقارها إلى مصطلحات دقيقة واضحة، مما أضفى صبغة الإبهام تارة والخطأ تارة أخرى.

المنهج التاريخي: استندنا فيه إلى المصادر التاريخية من مخطوطات تعود للحقبة التاريخية التي عاش فيها ابن زهر، وكذا النصوص التاريخية التي كتبت عنه، والدراسات السابقة عنه.

المنهج المقارن: حيث عقدنا في فرص عديدة مقارنات بين نظريات ابن زهر الطبية والرصيد المعرفي من النظريات الطبية المنقولة والمترجمة من اليونانية إلى الحضارة الأندلسية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قارنا نظرياته مع غيره من أطباء وجراحي عصره من أبناء الأندلس كابن رشد، والنظريات الطبية المعتمدة في الطب الحديث، بالوقوف عند نقط تقاطعها واختلافها.

المنهج النقدي: حاولنا -قدر المستطاع- التزام الحياد، والابتعاد عن تمجيد الماضي، وكذا التبخيس منه ومن قيمته في إثراء تطور الطب، وارتكزت نظرتنا على التحليل المنطقي لنظريات ابن زهر الطبية، ومدى انسجامها، وتوافقها والمعرفة بعلم التشريح ووظائف الأعضاء، وعلم الأمراض والعلاج، وعلى أساسه بنينا تقييمنا، مراعين في ذلك خصائص المرحلة التاريخية، والمعرفة الطبية المتاحة وقتها.

مراجع البحث

اعتمدنا في سبيل إنجاز بحثنا على مراجع ومصادر عديدة، أهمها مخطوطات ابن زهر ووالده الطبيب أبي العلاء زهر المحفوظة في كل من المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط وكذا الخزانة الحسنية.

- ابن زهر ع. م، التيسير في المداواة والتدبير، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم ق-159.
- ابن زهر ع. م، كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم د-3666.
- ابن زهر ع. م، الأغذية، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم د-3664، د-4104.
- ابن زهر أ. ع، جامع أسرار الطب، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم د-1762، د532.
- ابن زهر أ. ع، مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، -غير معنون، يستهله بقوله "قال الوزير أبو العلاء بن زهر رحمة الله تعالى ورضي عنه بمنه آمين. القول في فقر الشم".

كما استعنا بأمهات كتب تاريخ الطب التي أرخت لابن زهر وإنجازاته، أبرزها كتابا:

- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1981.
- الكانوني م، الطب العربي في عصر دول المغرب الأقصى، تحقيق علال ركوك ومحمد بالوز، 2013.

نتائج ومناقشة

نرصد من أبرز إضافات ابن زهر في المجال الطبي:

- تشريح القلب والغشاء المحيط به، ووصف التهابه المعروف بالتهاب التامور الرطب الحاد والمزمن، وتحديد شكل السائل الالتهابي بدقة.

- تشريح بنية الجهاز العصبي مركزا على الطرفي منه، والتمييز بين الأعضاء التي تحس وتلك التي لم تزود بهذه الخاصية، ثم تفسير فيزيولوجيا الإحساس والوجع.

- إسهامه في تطوير علم وظائف الأعضاء، عن طريق تفسير آلية التنفس كما أكدها العلم الحديث.

- الاشتغال بالأمراض العصبية كالصرع، فعرفه بعرضه السريري المعروف بالتشنج العضلي، كما فرق بين التشنج العرضي ونوبة الصرع التي تتواتر لدى المصروع. ويعزو مرض استرخاء المريء إلى اختلال عصبي أعجز عضلة المريء عن التقلص.

- عالج ابن زهر الاضطرابات العقلية والنفسية واهتم بوصف أعراضها، كالسرسام الحار والبارد، الاهتياج الهوسي ومحاولات الانتحار. باحثا عن تفسير عضوي للاضطراب قبل الخلوص إلى الأصل النفسي والعقلي.

- ابتكار طرق علاجية جديدة، كشق القصبة الهوائية، واعتماد أنبوب التغذية الفم-معدي كعلاج تلطيفي لمرضى استرخاء المريء.

- تصنيفه للأمراض التعفنية والحميات، كمرض التهاب السحايا، ووصفه لطفيلي الجرب.

- دراسته الأمراض الوبائية المتواجدة بالمغرب خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين وتدوينها بمؤلف التيسير.

- اعتمد ابن زهر منهجا علميا ارتكز فيه على التجربة والملاحظات السريرية التي يدونها الطبيب لاستخلاص نتائج بحثه.

- تشبث بأخلاقيات مهنة الطب ودعا الأطباء إلى الالتزام بها أمام كل المغريات والتهديدات، حفظا لعهود قسم أبقراط السامية.

- أدرك أهمية التأليف الطبي كوسيلة للتدريس والانفتاح الطبي، ونشر الوعي الصحي بين المرضى وعائلاتهم، وله مؤلفات غزيرة لم يحفظ التاريخ إلا جزءا منها.

هذا ولا يزال تراث بني زهر الطبي ينضوي على مخزون من المؤلفات التي لا تزال بحاجة إلى التحقيق والمراجعة البيليوغرافية والمنهجية المعرفية الموسعة. مما سيساهم في إحلال هذا التراث الإنساني مكانته اللائقة ضمن التاريخ الإنساني العام.